

حقيقة الإشراف بين الحدود الإدارية والبيداغوجية والتوجيه المعرفي الدقيق

د. عبد الحميد بوفاس

جامعة عبد الحفيظ بوصوف ، ميله - الجزائر

المخلص:

لما كان البحث العلمي رحلة صعبة ومحفوفة بالمخاطر في تخوم المعرفة الإنسانية ، وجب الإقرار بدور المشرف وموقعه في مشاركة الباحث المتدرب في عملية البحث عن الحقيقة العلمية . ولعل هذه الرؤية قد أيقنها أسلافنا من خلال ما أسموه بالسلطة المعرفية والروحية على طالب العلم أو الباحث .
وهنا نتواجهنا إشكالات مغيبية في البحث العلمي ، لعل أهمها : ما حقيقة الإشراف ؟ ما موقع المشرف في البحث العلمي ؟ وما وظيفته ؟ لتواجهنا إشكالات أكثر خطورة ، منها : هل الإشراف صناعة وفن أم رعاية تجارية كما هو الحال في بعض الجامعات؟ وهل العلاقة بين المشرف والطالب علاقة مادية مصلحية مؤقتة تنتهي عند ملء استمارة التسجيل أو الإذن بالطبع ؟
الكلمات المفتاحية : بحث، إشراف، مشرف، طالب.

Abstract:

Since scientific research is a difficult and risky journey in the frontiers of human knowledge, the role and location of the supervisor must be recognized in the participation of the trained researcher in the process of searching for scientific truth. Perhaps this vision was realized by our ancestors through what they called the knowledge and spiritual authority over the seeker of knowledge or researcher.

Here we face problems that are absent in scientific research, perhaps the most important of them: What is the reality of supervision? What is the site of the supervisor in scientific research? What is his job? We face more serious problems, including: Is supervision an industry, art or commercial sponsorship as is the case in some universities? Is the relationship between the supervisor and the student a temporary financial interest in the relationship that ends when filling out the registration form or permission, of course?

Keywords: research, supervision, supervisor, student.

مقدمة :

قبل الشروع في تحديد موقع المشرف وقضية الإشراف العلمي على بحوث الطلبة من الجهات الإدارية والعلمية والأخلاقية فإننا نود الإشارة والتذكير ببعض مفاهيم البحث العلمي ، لأن حدود العلاقة بين الطالب والأستاذ المشرف ، قد تتحدد ملامحها وأسسها في ظل تلك المفاهيم و ما تشير إليه من حقائق ترتبط بالبحث العلمي .

وهناك أمر مهم أيضا ، وهو أن حدود تلك العلاقة لم تحدد صراحة بقوانين واضحة ، وإنما تركت للممارسة ومعايشة البحث العلمي ، أو بالأحرى لتلك العلاقة التي تنشأ بين شخصين في رحلة تستغرق مدة زمنية لا تقل عن ثلاث سنوات في دكتوراه نظام (ل. م. د) وأربع سنوات في دكتوراه العلوم ، لتقلّ إلى سنتين في مرحلة الماجستير ، وسنة في مرحلتي الماستر والليسانس .

1- مفهوم البحث العلمي :

يذهب صالح بلعيد إلى تعريف البحث العلمي بقوله : " بحث أساس يدور حول المعطيات بهدف الإجابة عن مشكلة بحث معينة، ويستهدف تطوير المعارف ، باعتباره يتميز ببعض الاستعدادات الأساسية بالنسبة إلى الطريقة العلمية . " ¹

من خلال التعريف السابق يمكن أن نستنتج بعض الحقائق المتصلة بالبحث ، وهي أن البحث العلمي جهد يقوم به شخص تقع على عاتقه مسؤولية الإجابة عن مشكلة علمية ، إضافة إلى تلك الاستعدادات النفسية والخلقية والعلمية التي لا يمكن أن يتحقق ذلك الهدف من البحث العلمي من دون توفرها. ولعلّ هذه الموصفات يمكن أن تمهد الطريق للباحث المبتدئ من اكتساب تصور قبلي حول طبيعة البحث العلمي وأنه يتحمل جزءا كبيرا من مسؤوليته وأنّ البحث في الإشكالات المطروحة يتكفل بها الباحث لا المشرف .

وإذا كان البحث العلمي في جوهره يقوم على مواجهة مشكلة أو مشكلات فإن الإجابة عنها يتطلب صفات معينة في الباحث الذي يجب أن يتحلّى "... بالضوابط العلمية التي تجعله قادرا على الخروج بنتيجة ما ، ومن هذا الباب تبدو لنا بعض الموصفات التي يستحسن أن تتوفر في الباحث ، وهي :

- العلم والإدراك وسعة الاطلاع بالموضوع المختار .
- الموضوعية والتجرد من التحيز والتعجب .
- الأمانة والدقة العلمية والثقة في النفس .

- التضحية والسهر والمثابرة والاستعداد للتنقل.²

لقد بدأت تتضح لنا بعض المسؤوليات المنوطة بكل من الطالب والأستاذ المشرف؛ ففكرة التحصيل العلمي من واجب الباحث كما أن الإشارة إلى المراجع والمصادر التي تتوفر على المعلومات التي لها وثيق الصلة بالموضوع المعالج يكون بمساعدة وتوجيه المشرف .

كما أنّ المعرفة تتنوع، فيمكن التمييز بين " معرفة عامة، يحصل عليها الإنسان من خلال احتكاكه بالأفراد ومشاهدة ما يجري يوميا وتكوين انطباع عام عن أي موضوع. وهناك معرفة علمية دقيقة لا تقوم على أساس الحدس والتخمين، وإنما على أساس المنهجية في الدراسة الشاملة للموضوع، بحيث تكون النتيجة النهائية قائمة على تحليل دقيق للحقائق وعلى محاكمة عميقة للأدلة والشواهد المتوافرة عن محتوى الموضوع."³

ومن هنا يمكن أن نصل إلى أنّ الباحث ومعرفته العلمية والمنهجية يشكل ما يعرف بمدخلات البحث العلمي، إضافة إلى عناصر أخرى سبق الإشارة إليها وهي المشكلة العلمية التي يختارها الباحث ويشعر بها ويبحث عن حل لها، من دون أن ننسى الهدف المسطر من البحث وروافد المعلومات التي تشعب بها مختلف المصادر والمراجع.

2- مفهوم الإشراف :

أ- لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور " وقال ابن الأعرابي الإشراف الحرص"⁴. وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " أنه قال : " من أخذ الدنيا بإشراف نفس لم يبارك له فيها، ومن أخذها بسخاوة نفس بورك له فيها، أي بحرص وطمع."⁵

فمعنى الإشراف عند ابن منظور لم يحدد جوانب الحرص، بل كانت اللفظة في دلالتها عامة، وهنا يمكن أن نستحضر الحرص في دلالاته المعنوية والمادية (الحسية). فكما يحرص الإنسان على تحقيق حاجاته المادية فإنه أيضا يسعى ويطمح إلى تحقيق رغباته وأهدافه التي يرسمها في الحياة، ولا يمكن ان نبعد من ذلك التصور الرغبة في التحصيل العلمي والاستزادة منه .

وكل رغبة في جانبيها المادي والمعنوي لا تخلو من حرص، والحرص يتحقق بفعل سعة المعرفة والخبرة والدربة والمران، وكل هذه الصفات تحتاج إلى رعاية وتوجيه .

ونجد معان أخر للجذر اللغوي (ش ر ف) الذي يدل على العلو والارتفاع حسب ما ذهب إليه ابن فارس ، " الشين والراء والفاء أصل يدل على علو وارتفاع ، فالشرف العلو والشريف الرجل العالي . والمشرف المكان تشرف عليه وتعلوه.⁶

ويشير الفيروزآبادي إلى معنى الفعل شُرِفَ ، فيقول : " شرف شرفا علا في دين أو دنيا ... وأشرف عليه ؛ اطلع عليه من فوق." ⁷

وعليه فإن المعنى اللغوي للفعل شرف يضيف معنى العلو ، ولعلّ في ذلك إشارة إلى منزلة الأستاذ المشرف ومكانته في التوجيه والتسيد ، وكذا فيها إichاءات إلى بعض الصفات الواجب توفرها ضمنا في المشرف ومنها علو مكانته العلمية ورفعة أخلاقه.

ب- اصطلاحا :

إن الإشراف العلمي في أبسط معانيه هو تتبع عمل الطالب ، كأن يكون مذكرة ليسانس أو ماستر أو ماجستير أو دكتوراه ، والحرص على إتمامها في فترة زمنية تتلاءم وطبيعة مرحلة التكوين ، مع اتسامها بمنهجية علمية صحيحة.

كما أن المراد بالإشراف هو " مراقبة الأستاذ ومتابعته للبحث الذي يقوم به الطالب في جميع المراحل التي يمر بها هذا البحث حتى يكتمل ويقدم للمناقشة." ⁸ إذن فهناك مسؤوليات يتحملها المشرف ، من مراقبة ومتابعة خلال جميع المراحل بدءا من اختيار الموضوع إلى غاية طبعه ومناقشته.

وإذا سلمنا بتلك المسؤوليات العلمية والأخلاقية والإدارية ، فإن ذلك لا يعني أن الأستاذ المشرف هو من يقوم بإنجاز البحث والإجابة عما طرح فيه من إشكالات ، وإنما ذلك يقع على عاتق الطالب الباحث بتوجيه ومساعدة من مشرفه. وبذلك يكون الإشراف هو " توجيه أستاذ متخصص طالب البحث إلى المنهج العلمي في دراسة موضوع ما، وكيفية عرض قضاياها ومناقشتها، واستخلاص النتائج منها، وفق المعايير العلمية المقررة." ⁹

3- مشروعية الإشراف العلمي

إن الطالب هو باحث مبتدئ ، وتلك مرحلة يمر بها جميع الطلبة الباحثين قصد التكوين والتحصيل العلمي والمعرفي للوصول إلى مرحلة التأهيل والقدرة على البحث باستقلالية ، وذلك لن يتأتى بسهولة وإنما يحتاج إلى معونة ومشورة ، وخاصة أن الطالب في بداية مشواره لم يتمتع كثيرا على منهجية البحث وما تتطلبه من خبرة وفن في التعامل مع المصادر والمراجع

، وكذا المعرفة والبحث في مختلف قضايا العلم . وهنا كان لزاما اللجوء إلى طريقة بيداغوجية وتربوية لتحقيق تلك الغايات النبيلة وتحقيق طموح الأفراد والمجتمعات .

ومن دون شك ، فإن طريق العلم طريق محفوف بالمخاطر والمزالق ، ولا يخلو من صعوبات وعقبات تعترض الباحث ، وقد تكون سببا في انقطاعه التام عن البحث ، فربما يصل إلى درجة من اليأس والملل والضجر ، ولذلك كان من الواجب على المؤسسات الجامعية أن تلجأ إلى عملية تيسر على طالب البحث مشقة الرحلة العلمية ، فكان ما يسمى "الإشراف العلمي"

وفي الوقت ذاته، يجب على الطالب الباحث أن يفكر في المشرف قبل أن يصل إلى نهاية الدراسة من كل مرحلة من مراحل التعليم ، لأنه ليس من السهل أن يعثر الطالب على مشرف وفق تصوره ، خاصة أن الاختيار هو عملية نفسية تحتاج إلى وقت واتخاذ قرار . وقد أشار السلف الصالح إلى هذه المسألة ، ومما ورد في ذلك

" ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن ممن أمكن ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانتها، وكان أحسن تعليما ، وأجود تفهيمًا." ¹⁰

وجاء في كتاب تعليم المتعلم " أما اختيار الأستاذ: فينبغي أن يختار الاعلم والأورع والأسن . كما اختار أبو حنيفة ، رحمة الله عليه، حماد بن سليمان، بعد التأمل والتفكر.." ¹¹

كما أن العجلة والتسرع في اختيار المشرف من الأمور غير المستحبة ، لأنه قد لا يحدث توافق بين الطالب والمشرف ، مما يؤدي بطالب العلم إلى تغيير المشرف بعد أن وقع عليه اختياره ، وذلك من الأمور المذمومة أيضا ، لذلك حرص السلف الصالح على ضرورة التريث والتفكير الطويل قبل اختيار المشرف .

قال الحكيم (حكيم سمرقند) : " إذا ذهبت إلى بخارى فلا تعجل في الاختلاف إلى الأئمة وامكث شهرين حتى تتأمل وتختار أستاذًا ، فإنك إن ذهبت إلى عالم، وبدأت بالسبق عنده فربما لا يعجبك درسه، فتتركه فتذهب إلى آخر، فلا يبارك لك في التعلم." ¹²

ومن الجوانب القانونية نجد جملة من المراسيم التنفيذية تشير إلى الإشراف صراحة أو ضمنا حسب طبيعة كل مرحلة من مراحل التكوين الجامعي . ومن تلك المراسيم والقرارات، نذكر :

- المرسوم التنفيذي رقم 8-265 المؤرخ في 12 شعبان 1429 هـ الموافق لـ 19

أوت 2008: يتضمن نظام الدراسات للحصول على شهادة الليسانس وشهادة

الماستر وشهادة الدكتوراه ، حيث تشير المادة الرابعة منه إلى : تتوج الدراسات من أجل الحصول على شهادة الليسانس إما بتحرير مذكرة نهاية الدراسة او بتقديم تقرير عن تريض حسب أهداف التكوين .

وتتص المادة التاسعة من المرسوم السابق على : تتوج الدراسات من اجل الحصول على شهادة الماستر بتحرير مذكرة ومناقشتها أمام لجنة.

وتتص المادة 17 على : يقدم الطالب في الدكتوراه في كل سنة عرضا عن مدى تقدم أشغاله أمام فرقة التكوين للدكتوراه وبحضور المشرف عن الأطروحة.

وتتص المادة 19 على : تتوج شهادة الدكتوراه التكوين في الطور الثالث .

تسلم شهادة الدكتوراه من طرف الوزير المكلف بالتعليم العالي للطلبة الذين ناقشوا أطروحة دكتوراه أو قدموا نتائج أعمالهم الأصلية والمنشورة في مجلات ذات سمعة علمية معترف بها أمام لجنة من المختصين .

- القرار رقم 1150 المؤرخ في 08 ديسمبر 2014 الذي يحدد إجراءات الإشراف المشترك على أطروحة الدكتوراه وكيفيات تنظيمه : وقد اشتمل هذا القرار على 13 مادة توضح كيفية الإشراف المشترك على الأطروحة وكيفية تنظيمه، بين مؤسستين للتعليم العالي جزائرية وأخرى أجنبية.

- القرار رقم 547 المؤرخ في 02 جوان 2016 الذي يحدد كيفية تنظيم التكوين في الطور الثالث وشروط إعداد أطروحة الدكتوراه ومناقشتها.

حيث تتص المادة 23 من القرار السابق على : اختيار كل مترشح نجح في مسابقة الالتحاق بالطور الثالث عند تسجيله، موضوع أطروحة الدكتوراه بالاتفاق مع المشرف .

و تتص المادة 24 من القرار السابق على : إمكانية إعداد الأطروحة في إطار الإشراف المشترك.

وتتص المادة 27 من القرار السابق على : وجوب أن يكون المشرف على أطروحة الدكتوراه أستاذا باحثا من مصاف الأستاذية (أستاذ او أستاذ محاضر قسم أ) أو باحثا دائما مؤهلا في الشعبة. مع إمكانية تحديد مشرف ثان متحصل على الأقل على شهادة الدكتوراه ، بعد موافقة الهيئة العلمية المؤهلة.

نلاحظ أن جميع المواد المحددة لطبيعة التكوين في الجامعة تشير إلى إنجاز بحث يسمى : مذكرة أو تقرير في مرحلة الليسانس والماستر في حين يصطلح عليه " أطروحة" في مرحلة الدكتوراه.

كما أن المشرف تمت الإشارة إليه ضمنا في مرحلة الماستر من خلال الحديث عن مناقشة المذكرة أمام لجنة ، في حين ذكر المشرف صراحة في مرحلة الدكتوراه حيث يعتبر حضوره ضروريا في حالي العرض السنوي الذي يكون أمام لجنة التكوين في الدكتوراه أو أثناء المناقشة أمام لجنة من المختصين. إضافة إلى اختيار الطالب موضوع بحثه الذي يكون بالاتفاق مع المشرف.

وإن كانت تلك المراسيم والقرارات قد أشارت إلى قضية الإشراف العلمي في جميع مراحل التكوين الجامعي فإنها صرّحت ببعض المؤهلات العلمية من إشارة إلى الدرجة العلمية والتأهيل في الشعبة ، وهذا من شأنه أن يفيد الطالب الباحث في موضوعه .
وإن أشارت المراسيم والقرارات إلى الصفات العلمية ، فإن مسؤولية المتابعة والتوجيه وتقديم تقارير عن عمل الطالب والحضور معه ، هي الأخرى مذكورة في ثنايا المواد القانونية.

ولعل ميثاق الأطروحة الصادر عن مديرية التكوين في الدكتوراه والتأهيل الجامعي لسنة 2014 ، هو الذي يحدد بدقة ووضوح مسؤولية كل الأطراف في عملية الإشراف ومتابعته، حيث يشير الميثاق إلى الأطراف الآتية : المشرف ، طالب الدكتوراه ، رئيس لجنة التكوين في الدكتوراه، مدير مخبر دعم التكوين ، ومدير المؤسسة. ليفصل الميثاق في حقوق وواجبات كل طرف مما سبق، باعتبارهم شركاء مسؤولين عن ضمان السير الحسن للتكوين في الدكتوراه .

4- طرق تحديد المشرف :

لقد اختلفت طريقة تحديد المشرف بين النظام الكلاسيكي القديم ونظام (ل م د) الجديد ، وهذا الاختلاف راجع إلى طبيعة التكوين نفسه وتغير معطيات العصر في ظل العولمة والتطور التكنولوجي واختلاف طبيعة المتكويين أنفسهم . إلا أن ذلك لا يعني إلغاء الطريقة القديمة في اختيار المشرف بل لا تزال سارية المفعول ، إن لم نقل هي الشائعة والمعمول بها ، إلا في الحالات النادرة.

فالطريقة الأولى تعتمد على اختيار الطالب مشرفه شخصيا عن طريق الاتصال به وعرض عملية الإشراف العلمي على بحثه الذي يحضره في مرحلة معينة من مراحل التكوين الجامعي. وهنا نشير إلى أنه يجب على الطالب أن تكون له معرفة كافية بالأستاذ المشرف خاصة الجوانب العلمية والأخلاقية ، حتى يتمكن من التواصل معه والاستفادة الفعلية من الاحتكاك به ، وتلك المعرفة في اعتقادنا لا تتسنى إلا ب :

- حضور الطالب حصص التدريس بشكل مستمر .
 - حضور الندوات العلمية والأيام الدراسية والملتقيات العلمية .
 - حضور جلسات المناقشة لمختلف المذكرات في التخصص أو ما له علاقة به.
- إنّ هذه المسائل تعطي الطالب فرصة التعرف على شخصية الأستاذ - في حدود ما يفيد الطالب- وتمكنه من عدم التردد في الاختيار ، كما تشكل له خبرة و اطلاعا على المواضيع المعالجة وما تثيره من إشكالات يمكن ان تفتح آفاقا أخرى للدراسة .

أمّا الطريقة الثانية التي قد يلجأ إليها في نظام (ل م د) وهي تعيين أساتذة مشرفين للطلبة ، حيث يقوم فريق ميدان التكوين في مرحلتي الليسانس و الماستر أو فرق التكوين في الطور الثالث (مرحلة الدكتوراه) بتوزيع عدد معين من الطلبة على أساتذة مع اقتراح مواضيع بحث ، وقد يختار الطالب البحث بعد معرفته الاستاذ المشرف وبعد الاتصال به وعرض موضوع أو مواضيع لتتم مناقشتها سويا وبيان مختلف إشكالاتها وأسباب اللجوء إلى موضوع معين وكذا الأهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، مع النظر في مدى توفر المصادر والمراجع التي تخدم الموضوع .

وقد لا يلجأ إلى هذه الطريقة أصلا ، إذ تترك حرية اختيار المشرف والموضوع للطلاب . وهنا وجب الإشارة إلى متى يتم اللجوء إلى طريقة تحديد المشرف وكذا الموضوع من طرف لجان مختصة ، حتى نرفع اللبس عن بعض الأمور البيداغوجية الضرورية التي تخفى عن كثير من الطلبة أو من هم خارج الوسط الجامعي.

لا يمكن لأحد أن ينكر التزايد المستمر لطلبة العلم مقابل العدد القليل للأساتذة المؤطرين ، خاصة وأن المذكرة عمل فردي يقوم به الطالب - باستثناء السنوات الاخيرة حيث يسمح في الليسانس والماستر بخلاف ذلك - وهذا يطرح إشكالا في التأطير خاصة إذا كنا أمام الحقائق الآتية :

- عدم اهتمام بعض الطلبة بالبحث عن الاستاذ المشرف في الوقت المحدد لذلك.

- عدم تقديم الطلبة مواضيع للمشرفين في أوانها ، ليتم عرضها على لجان مختصة .
 - انقطاع الطالب عن الدراسة .
 - غياب الطالب المستمر مما يجعله لا يعرف أساتذته إطلاقا ، وغير مطلع على الإعلانات الخاصة بالإشراف.
 - قد يحدث أن يتصل الطالب بأستاذ معين ثم ينقطع تواصله به ، فيضطر إلى التخلي عنه لأنه مقيد بمواعيد ونصوص قانونية ، ثم فجأة يعود ذلك الطالب لبحث عن مشرف آخر .
 - عدم القدرة على اتخاذ القرار في الاختيار سواء ما تعلق بالموضوع أو المشرف .
 - اختلاف أنظمة التكوين في الجامعة ، مما يلزم اختلاف عروض التكوين وكيفيات التقييم والتقويم ، ففي الطور الثالث نجد مواضيع تقترحها فرق التكوين لتخدم التخصص الذي يتكون فيه الطالب ، وأحيانا تقترح محاور من الوزارة الوصية تخص كل عرض تكوين ، وهذا قد لا يتأتى للطالب تحقيقه لقلة الخبرة ، وقد يبقى وقتا طويلا في البحث والتتقيب إذا لم يجد توجيها ورعاية من طرف أساتذة مختصين .
 - وأمام هذه الحالات فإن الإدارة الوصية أو فرق التكوين في مختلف الأطوار مجبرة على ضمان التكوين للطالب وتسوية وضعيته ليتمكن من إتمام تكوينه بطرق وأساليب بيداغوجية .
- " وهذه الطريقة لا تمس سلامة الاختيار ، إذ إن الباحث في أوائل حياته البحثية يجد معاناة من اختيار الموضوع الذي يصلح للبحث ، وخاصة الذي لا تسعفه إمكاناته الزمنية أو العلمية من اختيار الموضوع أثناء دراسته الجامعية أو بعدها ، ذلك أن قراءاته في مجال تخصصه، لم تكن كثيرة بعد، ولأن كثيرا من الموضوعات البارزة تكون قد بحثت قبله ، مما يجعله يحتاج إلى صبر في البحث عن الموضوع، وإلى تأمل طويل... " ¹³
- ولعل الطريقة الأخيرة هي التي كانت سائدة عند السلف ، فطالب العلم " لا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوض أمره إلى الأستاذ، فإن الأستاذ قد حصل له التجارب في ذلك، فكان أعرف بما ينبغي لكل أحد وما يليق بطبيعته. وكان الشيخ الإمام الأجل الأستاذ برهان الحق والدين رحمه الله تعالى يقول: كان طلبة العلم في الزمان الأول يفوضون أمرهم في التعلم إلى أستاذهم، وكانوا يصلون إلى مقصودهم ومرادهم، والآن يختارون بأنفسهم ، فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقہ . " ¹⁴

5- العلاقة العلمية بين المشرف والطالب :

إن الحديث عن العلاقة العلمية بين المشرف والطالب لا تأخذ منحى واحدا ، بل تسير في اتجاه الطرفين ، وسنبدأ بالطرف الأول ؛ فالأستاذ هو المشرف أي الموجه والمسدد لعثرات الطالب والدال على مصادر المعرفة التي تخدم بحث الطالب ، وكذا مساعدته في الإجابة عن مختلف الإشكالات العلمية التي يطرحها البحث وتكون محل شك أو تعقيد أو صعوبة لدى الطالب.

وليس ذلك فحسب ، بل الإشراف يهدف إلى " ...استثارة مواهب الطالب، وتنمية ملكته... في سبيل إيجاد باحث يستقيم له التفكير، يلتزم منهجية البث، وموضوعية المناقشة." ¹⁵ وهذه المهمة لا تتحقق إلا إذا اضطلع بالإشراف " أساتذة متخصصون في الجامعات ، ممن لهم ممارسة طويلة في مجال البحوث العلمية تأليفا، وتوجيها، وتهيؤا، لهذا العمل الفكري القيادي من خلال تجاربهم الطويلة ، ودراساتهم الجادة ، ونتائجهم العلمي الرفيع ، الخاضع للمقاييس العلمية ، والمعايير الجامعية المعتمدة." ¹⁶

وعلى هذا الأساس فإن الإفادة العلمية الحقة للطالب لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كان المشرف نفسه باحثا مجددا معارفه ، مسهما في التأليف وتنشيط التظاهرات العلمية ، مما يجعله جديرا بمسؤولية الإشراف ، ومحل اختيار سواء من طرف الطلبة أو المؤسسة الجامعية التي يعمل بها.

ولكي تتحقق الفائدة المرجوة من الإشراف العلمي ، وتوجه جهود الطالب نحو خدمة البحث العلمي والتمكن من منهجيته والوصول إلى نتائج علمية قائمة على الدليل والبرهان في زمن وجيز ، يجب على الاستاذ المشرف :

- التواصل مع الطالب وعدم تركه مدة طويلة دون لقاء منظم.
- تنظيم لقاءات على الأقل شهرية أو نصف شهرية وفسح المجال للطالب لتقديم ما أنجزه أو ما يريد الاستفسار عنه.
- احترام تلك المواعيد، لأنها تعلم الانضباط وتحمل المسؤولية، وتعطي صورة عن مدى الاهتمام والرعاية.

إن التزام الطرفين بتحقيق ذلك التواصل يسهل عملية اطلاع المشرف على تفاصيل ودقائق موضوع بحث الطالب ، وكذا الإجابة عن الاستفسارات أو الإشكالات التي تواجهه أو يمكن أن تقع ، وقد لا تسمح الفرصة بالإجابة عنها لحدوث طارئ معين من كلا الطرفين .

وإذا قد كنا أشرنا إلى بعض الجوانب العلمية التي يجب أن تتوفر في الأستاذ المشرف لتسهيل عملية الإشراف ، فإن الطالب الباحث أيضا لا تسقط عنه تلك المسؤولية باعتبار البحث ملكا للطالب ويعبر عن فكره ورؤيته وشخصيته وطموحه .

وعليه فإن تحقيق ذلك الطموح ، وبلوغ منزلة علمية ينشدها الطالب الباحث لا يتأتى إلا ب :
- التحصيل العلمي والتزود بالمعارف بفعل القراءة والمطالعة ومخالطة العلماء . فلا بد أن يقتنع طالب العلم بأن العلم منفعة له وينفي عنه صفة الجهل ، وقد أشار السلف الصالح إلى هذه النقطة أثناء حديثهم عن صفات طالب العلم يقول في ذلك الآجري : " فمن صفته لإرادته في طلب العلم ان يعلم ان الله عز وجل فرض عليه عبادته . والعبادة لا تكون إلا بعلم ، وعلم أن العلم فريضة عليه ، وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل. " 17

- البحث عن المصادر والمراجع المتصلة بموضوع البحث في مختلف المكتبات الجامعية أو غيرها من المراكز الثقافية أو المواقع الإلكترونية أو الاقتناء أو السفر ، وكل ذلك يدخل في إطار المسؤولية العلمية للطالب . والتعامل مع الكتب يتطلب آدابا ، " فالكتب هي آلة العلم وقد كان السلف رضوان الله عليهم يراعون الأدب مع الكتب مراعاة تامة ويجدون في تحصيلها ما وسعهم الجد. " 18

6- العلاقة الأخلاقية بين المشرف والطالب

إن الحديث عن العلاقة الأخلاقية بين الأستاذ المشرف والطالب هو حديث عن سلوكيات ضابطة للتحصيل العلمي ، تجعل من استثمار الجهد المبذول من طرف الطالب مثمرا ومفيدا ، بمعنى يقدم بحثا سليما قائما على منهجية صحيحة ، ومحتكما للتحليل المنطقي والأدلة والبراهين في ظل أمانة علمية ترجع الفضل العلمي لأهله ، بعيدا عن التجريح ، وبعيدا عن كل كبر ، لأن التأدب قبل التعلم.

ولكي تتحقق الأهداف السابقة يجب أن يغمر تلك العلاقة العطف والحنان والاحترام المتبادل ، 'العلاقة بين المشرف والطالب في صورتها المثالية هي علاقة والد بابنه يظلها الحب ، والتقدير وتحوطها الثقة المتبادلة ، إن لم تكن علاقة صداقة' . 19

وإذا كانت تلك العلاقة قائمة على الأبوة أو الأخوة أو الصداقة ، فإن النصح والنزاهة والإخلاص والصدق كل ذلك لازم ، ويكون في صورة جامعة بين اللطف والحزم في الوقت

ذاته. فالصلة بين المشرف والطالب فيها الكثير من "... المحبة والتقدير ، والرغبة في نشر العلم والخبرة... وفيها سعة الصدر و طول الصبر على ما يريد الطالب..."²⁰
وإن الغاية من ذلك النصح والبعث عن التعنيف و التعسف هو القصد إلى حسن تربية طالب العلم ، وتحسين خُلقه، وإصلاح شأنه ، فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة، فلا حاجة إلى صريح العبارة، وإن لم يفهم ذلك إلا بصريحتها، أتى به وراعى التدرج في التلطف.²¹
وإذا كانت هذه بعض الصفات الخلقية مما يجب توفرها في الأستاذ المشرف ، فإن الطالب الباحث هو طالب علم أولاً ، و مرتبط علمياً بأستاذ مشرف ثانياً ، ولذلك فإن مجال التأدب يكون لطالب العلم وحامله وكذا مع من يوجهك ويشرف عليك ويحرص على إنجاز بحثك في المدة الزمنية المحددة لذلك .

لقد أشار السلف الصالح لآداب طالب العلم وكذا آداب مجالسة العلماء ومن يستفاد منهم في العلم الذي يحتاجه السائل ، حيث جاء في كتاب أخلاق العلماء حول طالب العلم " فإذا أحب مجالسة العلماء جالسهم بأدب وتواضع في نفسه وخفض صوته عند صوتهم. وسألهم بخضوع... فإذا استفاد منهم علماً أعلمهم أنى قد أفدت خيراً كثيراً. ثم شكرهم على ذلك... لا يناظرهم مناظرة من يريهم أنى أعلم منكم . وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم مع حسن التلطف لهم . لا يجادل العلماء. ولا يماري السفهاء. يحسن التآني مع العلماء مع توقيره لهم..."²²

فآفة العلم الكِبَر ، ولذلك حذر العلماء منه واعتبروه داء الجبابة ، " فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عصي الله به، فتطاورك على معلمك كبرياء، واستكفافك عن يفيديك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر ، وعنوان حرمان."²³
وعليه فإن حسن التلطف والتواضع ومعرفة كيفية الاستفسار عما استغلق من مسائل العلم مع الأستاذ المشرف واجب وضرورة حتمية تجعل الطالب محل تقدير في نفس معلمه ، ومحل حسن ظن من طرف المؤسسة التي ينتمي إليها ، وكذا أفراد الأمة الذين سيفيدهم بعلمه ويقدم لهم خدماته.

ومما ينبغي أيضاً على الطالب الباحث عدم الضجر من صحبة المشرف ، فكما قال الإمام علي (رضي الله عنه وكرّم الله وجهه) : "... ولا تعرض من طول صحبته فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء..."²⁴

وهذا ما أشار إليه الإمام الشافعي حينما قال: " حقّ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه..."²⁵ ولعل ما يعبر عن تلك المعاني قول المتنبي:²⁶

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

وقول الشاعر :

دَبَّبتَ للمجد والساعون قد بلغوا جَهدَ النفوس وألقوا دونه الأزرأ
فكابروا المجد حتى ملّ أكثرهم وعانق المجد من أوفى وصبرا
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

خاتمة

من خلال الحديث عن مفاهيم الإشراف العلمي ومشروعيته وكذا الإشارة إلى العلاقة العلمية والأخلاقية بين الأستاذ المشرف والطالب الباحث ، أمكن التوصل إلى جملة من النتائج ، نجملها فيما يأتي :

- 1- الإشراف مسؤولية أخلاقية قبل أن يكون مسؤولية علمية أو إدارية ، ذلك أنه لا يمكن فصل الجوانب العلمية أو الإدارية عن الأخلاقية ، فهذه الأخيرة هي قوامها وأساس صلاحها. وعليه يجب على المشرف أن ينظر إلى الطالب على أنه أمانة في عنقه ، مكلف بتوجيهه وتربيته وتعليمه ، وهنا لا تنتفي صفة التعليم أو التدريس عن المشرف إضافة إلى مهمة الإشراف. كما أن تلك المسؤولية الأخلاقية تتقاطع مع جوانب أخرى ، أهمها : ما يتصل بأخلاقيات البحث العلمي في حد ذاته ، مما توجبه النزاهة والإخلاص وعد انتحال وسرقة أفكار وجهود الآخرين ، وكذا توجبه النصوص القانونية منها : الإذن بطبع الرسالة ، والإشهاد بأن ما فيها يتطابق والمناهج العلمية التي تخدم الموضوع وتخدم العلم ، وعلى أنها تتميز بالدقة والتحليل وروح المناقشة.
- 2- لكي تتحقق النتائج المرجوة من البحث في مرحلة من مراحل التعليم الجامعي ، يجب على المشرف الحرص التام على متابعة الطالب ، من خلال تنظيم لقاءات منتظمة تكون أسبوعية أو نصف شهرية أو على الأقل شهرية . وذلك لكي يتمكن الأستاذ المشرف الاطلاع على جزئيات الموضوع بدقة ، والإجابة عن انشغالات الطالب التي تتبادر إلى ذهنه ، وخاصة إذا بدا على الطالب بعض الاضطراب والخوف من

إنجاز الموضوع أو هاجس المراجع والمصادر . ولعلّ تلك اللقاءات المنتظمة والمنظمة تكسب الطالب معاني الالتزام والانضباط ، وتجعله يشعر باهتمام المشرف به ، مما يجعل لتلك اللقاءات جدوى كبيرة ، تعزز الثقة بينهما ، وتحفز على العمل عوض الكسل ، خاصة في بعض الحالات التي قد يتعسر على الطرفين الالتقاء فيها ، لأسباب قاهرة تخص الطالب أو المشرف .

3- إن الإشراف العلمي محكوم بقوانين بيداغوجية وإدارية تحددها المؤسسة التي ينتمي إليها كل من الطالب والمشرف ، ويجب أن يتقيد بها جميع الأطراف . ومن هذا المنطلق كي تتحقق الأهداف المتوخاة من التكوين في علاقتها بالأهداف العامة للبحث وحاجات المؤسسة والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية للمجتمع ، يجب الحزم وعدم التهاون . وهذا التصور هو الذي أشار إليه السلف الصالح في اختيار المشرف ، حيث اشترطوا الورع فيه .

4- إذا كان الإشراف محكوما بقوانين بيداغوجية وإدارية ، تتطلب إجراءات معينة لتضمن للطالب إنجاز بحثه ، وجب على الأستاذ المشرف أن يعلم طالبه بأي خطر محقق به ، ويمكن أن يعرقل عمله أو يؤثر سلبا في مسار تكوينه . وهنا يتحقق المعنى الأسمى لتلك المسؤولية الأخلاقية وكذا معنى الحرص والتوجيه .

5- إذا كان من معاني الإشراف العلو ، فإن هذا العلو لن يكون إلا بتواضع وحب وتقدير واحترام وتلطف، بعيد عن جرح مشاعر طلاب العلم أو الاستهزاء بهم ، أو الطمع في استغلالهم أو الإساءة إليهم في حالة تقصيرهم أو خطئهم ؛ فإن تلك المسائل كثيرا ما تحدث من طالب العلم لقصور فهمه ، أو سوء تقديره ، أو قلة خبرته ، أو تهاونه ، أو ظروف قاهرة في بعض الحالات . فعلى المشرف أن يكون حليما واسع الصدر ، حكيما في التعامل مع تلك الحالات ، حتى لا يوحش صدور المتعلمين عليه ، ولا ينفهم من طلب العلم ، لأن من معاني الإشراف هو التوجيه وتقديم المساعدة ، ليتسع مفهومه إلى معنى التقييم والتقييم .

6- إذا كان الطالب جزءا أساسيا في عملية الإشراف ، فإنه يجب عليه التفكير في اختيار المشرف قبل انقضاء الأجل ، فيحذر أن يكون ذلك قبل نهاية الموسم الجامعي من السنة الثانية ليسانس ، والسنة الأولى ماستر ، وقبل التسجيل في الدكتوراه إثر النجاح

في المسابقة. وذلك ما يترك مجال التفكير والاستقرار على مشرف ، مما يقلل من فكرة تغييره ، وهذا غير مستحب ، أو كما قال السلف يذهب البركة من التعلّم.

7- إن التسليم بمسؤولية المشرف الأخلاقية والعلمية لا تعفي الطالب من هاتين المسؤوليتين ، فالطالب ملزم باحترام مشرفه والتأدب معه؛ في مخاطبته أو توجيه السؤال أو حسن الاستماع، أو التحضير المسبق للاستفسارات المتعلقة ببحثه، أو تدوين إجابات المشرف وملاحظاته، أو كيفية الجلوس في حضرته أو الامتناع عن القيام ببعض السلوكات التي تنتافي وطالب العلم ، وكذا الالتزام بالمواعيد والقيام بالأعمال المكلف بها، واتباع جميع التوجيهات المسداة إليه ، كل ذلك في تطف وتواضع على أن يقبل اعتذار مشرفه إذا دعت ضرورة بيداغوجية أو ضغوطات العمل أو كثرة الانشغالات العلمية أو العائلية.

8- ومن الأمور الحساسة والمهمة التي يجب النصح بها ، هي أن يستشعر المشرف عظم تلك المسؤولية باعتبارها تعطي صورة عن شخصه وعن المؤسسة التي ينتمي إليها وكذا المجتمع الذي يعيش فيه ، وفي المقابل يجب على الطالب أن يكون في مستوى المسؤولية التي تشعره أنه سيقوم بالدور نفسه الذي يؤديه مشرفه ، وأن هذا الأخير وإن قدم النصح وأخلص فيه ، وإن نذل على الطالب الصعوبات العلمية والإدارية فليعلم أنه - الطالب - المعني بإنجاز بحثه في الفترة الزمنية المحددة له ، وهو المكلف بالبحث عن عناصر موضوعه في المصادر والمراجع - وإن أعانه المشرف في ذلك خاصة غير المتوفر منها- ليعلم أيضا أن بحثه هو جزء من شخصيته ، يعبر عن آرائه ويدافع عنها بالدليل والحجة ، ويتبع في ذلك منهجية علمية ملتزما بالموضوعية والدقة في الشرح والتحليل ، ومتحليا بالأمانة العلمية فيما يكتب ، ليصل إلى مرحلة المناقشة العلنية ، وهنا تظهر مسؤولية أخرى ، هي الدفاع عن آرائه وأفكاره التي تثبت أصالة موضوعه وجوانب الابتكار فيها- خاصة أطروحة الدكتوراه- كما تظهر طريقة إجابته ، وهي جزء من التوجيه الأخلاقي والعلمي للمشرف. ولماذا أشرنا إلى بروز ملامح شخصية الطالب في بحثه، لأنه من العيوب أن تأخذ الرسالة صبغة المشرف البارزة ، فالدارسون لا يحبذون هذا الأمر ، لأنه لو افترضنا أستاذا أشرف على خمس رسائل ، وترك فيها جميعا بصمته البارزة ، ستكون أمام بحث واحد لخمسة طلاب ، وعليه يجب ترك جانب من الحرية للطالب لتبني

بعض الأفكار والدفاع عنها ، من جهة ، وحتى نخلق تنوعا في الرسائل ، ونفسح المجال للتنافس بين الطلبة ، من جهة أخرى .

نأمل أن يكون هذا المقال قد أجاب عن بعض الإشكالات المطروحة ، وأثار بعض القضايا المؤرقة في البحث العلمي ، باعتبار أن الحديث عن علاقة المشرف بالطالب من المواضيع المسكوت عنها في كتب المنهجية ، إلا في القليل النادر ، نجد بعض الدراسات تشير إلى حدود تلك العلاقة مع اختلاف في تحميل مسؤولية إنجاز البحث وإتمامه .

الهوامش :

- 1 - صالح بلعيد : في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص/23.
- 2 - المرجع نفسه، ص /78.
- 3 - عمار بوحوش ومحمد محمود الذنبيات : مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1995 ، ص/06.
- 4 - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون، ج 24 ، 1981 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص /2242.
- 5 - المصدر نفسه: 2242/24.
- 6 - ابن فارس بن زكريا القزويني الرازي : معجم مقاييس اللغة ، ج(03)، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، بيروت، لبنان، للنشر ، 1979 م، ص/263.
- 7 - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط، توثيق : يوسف الشسخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان ، 2010 ، ص/742.
- 8 - عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعية : البحث العلمي ، الجزء (01) ، ط(06) ، مكتبة العبيكان للتوزيع ، السعودية، 2012 ، ص/125.
- 9 - عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، ط(09) ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض، 2005 ، ص/40.
- 10 - الإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ط (03) ، شركة دار البشائر الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 2012 ، ص/96.
- 11 - برهان الإسلام الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ، تح : مروان قباني، ط(01)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981، ص/72.
- 12 - المرجع نفسه ، ص/74.

- 13 - محمد علي عبد الكريم الرديني : منهج البحث الأدبي واللغوي ، ط (01) ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 2010 ، ص/213.
- 14 - برهان الإسلام الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص/86.
- 15 - عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، ص/40.
- 16 - المرجع نفسه، ص/ 40.
- 17 - أبو بكر محمد الحسين بن عبد الله الأجرى : أخلاق العلماء ، مرا وتص : اسماعيل بن محمد الانصاري ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، 1978 ، م، ص/47.
- 18 - أبو عبد الله محمد بن سعيد بن رسلان : آداب طالب العلم ، ط(01)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 1993 ، ص/171.
- 19 - عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة ، ص/41.
- 20 - عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة : البحث العلمي ، 1/131.
- 21 - الإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ط (03)، شركة دار البشائر الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 2012 ، ص/74.
- 22 - أبو بكر محمد الحسين بن عبد الله الأجرى : أخلاق العلماء، ص/50.
- 23 - بكر بن عبد اللبب وزيد : المجموعة العلمية ، حلية طالب العلم، ط(1)، دار العاصمة، السعودية ، ص/146.
- 24 - محمد بن عمر بن سالم بازامل : منهج البحث العلمي وكتابته في الشريعة ، (د ط) ، (دت) ، ص/5.
- 25 - الإمام القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله : تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ص /58.
- 26 - أبو الطيب المتنبي : الديوان ، مرا : يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج(02) ، ط(01) ، دار الكتاب العربي ، لبنان، 2004 ، ص/239 .